آيات في التنمية البشرية

أسس إدارة الأفراد (1/4)

تاريخ النشر في جريدة أخبار الخليج: 2 يوليو 2016

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

يؤسس لنا سبحانه وتعالى معنى إداريًا رائعًا وخطيرًا في الآية الكريمة من سورة آل عمران – الآية 159 حينما يقول «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ».

إن إدارة الأفراد والمؤسسات فن وعلم لا يتقنه الكثير من المسؤولين، ولكن الكارثة التي عادة ما تقع إذ يعتقد الكثيرون أنهم قادرون على الإدارة، بل انهم أفضل من يقود الناس والمؤسسات.

إن اللّه سبحانه وتعالى أوجد في هذه الآية الكريمة 4 أسس عملية لإدارة الأفراد، أيًا ما كان نوع الإدارة، سواء كانت إدارة مؤسسات أو إدارة أفراد أو حتى إدارة أسرة أو مجتمع أو دولة، وهذه الأسس هي:

الرحمة: ورد مصطلح «الرحمة» في الكثير من الآيات في القرآن الكريم، وكذلك فإنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم دعا إلى إقامة مبدأ الرحمة بين البشر حينما قال فيما رواه البخاري «مَن لا يَرحمِ الناسَ، لا يَرحمْهُ اللّهُ»، ليس ذلك فحسب وإنما تتعدى الرحمة في الإسلام البشر حتى تبلغ الحيوانات، ونفهم ذلك من خلال الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه

البخاري عن ابن عمر ان نبي اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال (دَخَلت امْرَأَةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ ربطتها، فلم تُطْعِمها، ولم تَدَعْها تأكُل مِن خَشاشِ الأرض).

والرحمة تعني ببساطة الرقة والتعطف. وقال ابن منظور «والرَّحْمَةُ في بني آدم عند العرب رِقَّةُ القلب وعطفه». ومنها الرَّحِم؛ وهي عَلاقة القرابة، ثم سمِّيت رَحِمُ الأنثى رَحِمًا من هذا، لأنّ منها ما يكون ما يُرْحَمُ وَيُرَقّ له مِن ولد.

والرَّحْمَةُ تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُومِ، وقد تستعمل تارة في الرّقّة المجرّدة، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرّقّة، وقيل هي رقة في النفس تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه. وقال عبدالرحمن الميداني: «الرحمة رقة في القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر».

فلو تم اتخاذ هذا المصطلح كمبدأ بين الرئيس والمرؤوس، وبين الأب أو الأم والأبناء، وبين الراعي والرعية فإنّ الكثير من المشاكل ستزول، ولكن هذا لا يعني ألا نمارس العنف بطريقة أو بأخرى في بعض المواضع، وخاصة عندما نريد تعليم الأبناء وتربيتهم، بمعنى أننا نحتاج إلى الرحمة دائماً وبالإضافة إلى ذلك فإننا نحتاج إلى القسوة والعنف أحيانًا لتسوية بعض الأمور.

وفي الجهة المعاكسة فإنّ اللّه سبحانه وتعالى يبين الصورة المخالفة للرحمة وهي غلظة القلب فقال «وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ»، والفَظُّ هو الجافي المسيء، المفتقر إلى السلوك الحسن

والتصرفات المهذبة، وهو غليظ الجانب، سيئ الخلق، خشن الكلام. إن هذه السلوكيات غير المسؤولة حتمًا ستؤدي إلى نفور الأشخاص من حول هذه الإنسان.

لذلك فإنّ القيادي الناجح لا يحتاج إلى أن يكون فظًا مع المرؤوسين حتى يصبح قادرًا ومتمكنًا من إدارتهم، وإنما يحتاج إلى الرحمة المقننة وإلى الرحمة المحكمة بقوانين وأنظمة يمكن من خلالها أن يدير الأفراد. وهذا بالضبط ما يحتاج إليه الأب أو أي شخص يكون في مثل هذا الموضع.

ولنواصل ما انقطع من حديث في مقال الغد،،